

تفسير البحر المحيط

@ 394 وقيل : قل لأنهم قصدوا به الدنيا وزهرتها ، وذلك { فَاَنِّ * مَتَّاعٌ }
الدُّنْيَا قَلِيلٌ } ، وقيل في الكلام حذف تقديره : ولا يذكرون عقاب الله وثوابه إلا قليلاً
لاستغرافهم في الدنيا ، وغلبة الغفلة على قلوبهم . والظاهر أن الذكر هنا هو باللسان ،
وأنهم قلَّ أن يذكروا الله بخلاف المؤمن المخلص ، فإنه يغلب على أحواله ذكر الله تعالى . .
{ مَّذَّذَ بَيْنَ بَيْنَ ذَالِكَ } أي مقلقين . قال الزمخشري : ذذبهم الشيطان والهوى
بين الإيمان والكفر يترددون بينهما متحيرين ، كأنه يذب عن كلا الجانبين أي يذاد فلا يقر
في جانب واحد ، كما يقال : فلان يرمي به الرحوان ، إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في
الذب ، كان المعنى : كلما مال إلى جانب ذب عنه انتهى . ونسب الذبذبة إلى الشيطان ،
وأهل السنة يقولون : إن هذه الحياة والذبذبة إنما حصلت بإيجاد الله . وفي الحديث : (
مثل المنافق مثل الشاة العابر بين الغنيم) والإشارة بذلك إلى حالتي الكفر والإيمان كما
قال تعالى : { عَوَّانٌ بَيْنَ ذَالِكَ } أي بين البكر والفارص . .
وقال ابن عطية : وأشار إليه وإن لم يتقدم ذكر الظهور لضمن الكلام له ، كما جاء : {
حَتَّى تَوَّارَتْ بِالْحَجَابِ } { وَكُلُّ مِّنْ * عَلَايْهَا فَاَنِّ } انتهى وليس كما
ذكر ، بل تقدم ما تصح إليه الإشارة من المصدرين اللذين دل عليهما ذكر الكافرين
والمؤمنين ، فهو من باب : إذا نهى السفية جرى إليه . .
وقرأ ابن عباس وعمرو بن فائد : مذذبين بكسر الذال الثانية ، جعله اسم فاعل أي
مذبذبين أنفسهم أو دينهم ، أو بمعنى متذبذبين كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى . وقرأ أُبي :
متذبذبين اسم فاعل من تذبذب أي اضطرب ، وكذا في مصحف عبد الله . وقرأ الحسن : مذذبين
بفتح الميم والذالين . قال ابن عطية : وهي قراءة مردودة . انتهى . والحسن البصري من
أفصح الناس يحتج بكلامه ، فلا ينبغي أن ترد قراءته ، ولها وجه في العربية ، وهو أنه أتبع
حركة الميم بحركة الذال ، وإذا كانوا قد أتبعوا حركة الميم بحركة عين الكلمة في مثل
منتن وبينهما حاجز فلان يتبعوا بغير حاجز أولى ، وكذلك أتبعوا حركة عين منفعل بحركة
اللام في حالة الرفع فقالوا : منحدر ، وهذا أولى لأن حركة الإعراب ليست ثابتة خلاف حركة
الذال ، وهذا كله توجيه شذوذ . وعلى تقدير صحة النقل عن الحسن أنه قرأ بفتح الميم .
وقرأ أبو جعفر : مذبذبين بالذال غير معجمة ، كأن المعنى : أخذتهم تارة بدية ، وتارة في
دبة ، فليسوا بماضين على دبة واحدة . والدبة الطريقة ، وهي في حديث ابن عباس : (
أتبعوا دبة قريش ، ولا تفارقوا الجماعة) ويقال : دعني ودبتي ، أي طريقتي وسجيتي . قال

الشاعر : % (طها هذريان قل تغميض عينه % .

على دبة مثل الخنيق المرعبل .

.) % .

وانتصاب مذبذبين على الحال من فاعل يراؤون ، أو فاعل ولا يذكرون . وقال الزمخشري :
مذبذبين : إمّا حال من قوله : ولا يذكرون عن واو يراؤونهم ، أي يراؤونهم غير ذاكرين
مذبذبين . أو منصوب على الذم . .

{ لاَ إِِلٰلٰهَ إِِلاَّ هُوَ } والمراد بأحد المشار إليهم المؤمنون ، وبالآخر
الكافرون . والمعنى : لا يعتقدون الإيمان فيعدوا من المؤمنين ، ولم يقيموا على إظهار
الكفر فيعدوا مع الكافرين . ويتعلق إلى بمحذوف تقديره : ولا منسويين إلى هؤلاء ، وهو
موضع الحال . .

{ وَ مَن يَضَلِّ لِّلَّهِ الْبَلَدَ أَلَا يَهْدِيهِ لِسَبِيلٍ } أي فلن تجد لهدايته سبيلاً ،
أو فلن تجد سبيلاً إلى هدايته .